

الكتاب الجامعي بين الواقع والطموح دراسة تحليلية نقدية لكتب دبلوم التأهيل التربوي في كلية التربية

الدكتورة اسما الياس*

□ الملخص □

إن عملية تزويد الكتاب الجامعي مهمة جماعية، تقع مسؤوليتها على عاتق الهيئة التعليمية والإدارية الجامعية والمتعلم نفسه. ولقد توصل البحث الحالي إلى جملة من المعايير، يساعد اعتمادها على الرفع من مستوى الكتاب الجامعي، وأهم ما في الأمر النظر إلى الكتاب الجامعي على أنه وسيلة وليس غاية بحد ذاته، وأن يقدم معلومات تشكل أساساً ينطلق منه المتعلم في عملية البحث والاكتشاف والتعلم الذاتي، فيكون دور الكتاب دور الموجه والمرشد مبتعداً عن أسلوب التلقين وتقديم المعلومات الجاهزة.

* مدرسة في قسم المناهج وأصول التدريس - كلية التربية - جامعة دمشق - دمشق - سورية.

Une Etude Anelytique et critique des manuls du Diplôme de Formation Pédagogique a la Faculté de Pédagogie

Dr. Asma ELIAS*

□ RÉSUMÉ □

L'amélioration du manuel universitaire est une fonction collective.

Elle concene tous ce qui travaille dans le domaine universitaire, tel que directeurs, enseignants, étudiants.

La resherche actuelle est arrivée à plusieurs critères peuvent améliorer le manuel universitaire si l'on les adopter.

L'essentiel est de concerner le manuel comme moyen plus qu'une fin et de donner aux étudiants des connaissances peuvent les aider à chercher et découvrir les réalités plus que incliquer les connaissances préparés.

* Maître de Conférences au Département de Méthodes d'enseignement, Faculté des Pédagogie, Université de Damas, Damas, Syrie.

مقدمة:

تتصف المرحلة الجامعية بخصوصية متميزة، حيث يكون المتعلم قد تم إعداده بشكل عام وتم تزويده بعموميات الثقافة وما يحتاج إليه من معارف نظرية ومهارات عامة شاملة تساعده في حياته اليومية، أما دور الجامعة فهو إعداده للاختصاص وممارسة المهنة مستقبلاً، وتكتسب المرحلة الجامعية خصوصيتها من أن المتعلم قد وصل إلى درجة من النضج والوعي تؤهله للاعتماد على نفسه في البحث وفي التعلم الذاتي. ومن هنا نرى أن اقتصار التعليم في الجامعة على تزويد المتعلم بجملة من المعارف النظرية الجاهزة والمتضمنة في الكتاب الجامعي أمر غير مقبول علمياً، فالجامعة لا تهدف إلى تكوين قوالب متشابهة مملوءة بمعارف نظرية موحدة ولكن هدفها الأساسي تكوين الباحثين والمبدعين في كل مجالات الحياة. فكيف يمكن تحقيق التوازن بين ضرورة وجود كتاب جامعي موحد، وبين الاعتماد على التعلم الذاتي؟ وبشكل آخر، كيف يمكن للكتاب الجامعي أن يكون أداة للإبداع عند المتعلمين أكثر من أداة لتحجيم عقولهم؟ هذا ما سيحاول البحث الردّ عليه.

مشكلة البحث:

وتتلخص في التساؤل الرئيس التالي:

ما هو الكتاب الجامعي؟ وما هي المعايير الأساسية التي يجب أن يراعيها؟ ويتفرع عنه التساؤلات التالية:

- ما معنى الكتاب الجامعي؟
- ما مكونات الكتاب الجامعي؟
- ما معايير الكتاب الجامعي الجيد؟
- إلى أي مدى تنطبق المعايير التي توصل إليها البحث على كتب دبلوم التأهيل التربوي؟

أهمية البحث:

وتتبع من الأمور التالية:

- 1- الجدة في تجربة الكتاب الجامعي في جامعات القطر أدت إلى الوقوع في الكثير من الأخطاء عند تخطيطه وتنفيذه.
- 2- غياب دليل مرجعي واضح ومحدد بدقة يوضح أسس إعداد الكتاب الجامعي والمعايير الواجب توافرها فيه.
- 3- غياب الأبحاث في هذا المضمار على المستوى المحلي والعالمي.

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى:

- تحديد معنى واضح وإجرائي للكتاب الجامعي.
- تحديد مكونات الكتاب الجامعي.
- تحديد المعايير الأساسية التي يجب أن يتميز لها الكتاب الجامعي الجيد.
- دراسة تحليلية نقدية لكتب دبلوم التأهيل التربوي في ضوء المعايير التي توصل إليها البحث.

منهج البحث:

لكي يحقق البحث أهدافه لجأ إلى المنهج الوصفي التحليلي، فدرس البحث جميع كتب دبلوم التأهيل التربوي للأسباب التالية:

1- تنوع وتعدد كتب ومقررات دبلوم التأهيل التربوي بحيث شملت معظم مقررات كلية التربية عامة.
2- تدرّس كتب الدبلوم لجميع طلاب دبلوم التأهيل في كل جامعات القطر، أي أن عدداً كبيراً من الطلاب يدرسون هذه المقررات.

3- وصل المتعلم في هذه المرحلة إلى درجة كبيرة من النضج تسمح له بالتعلم الذاتي.
وقد بلغ عدد هذه الكتب ثلاثة عشر كتاباً وهي:

1- التربية المقارنة [1] د. ملكة أبيض، 2- التربية في الوطن العربي د. ملكة أبيض، 3- التربية العامة [1] د. فاطمة الجبوشي، 4- فلسفة التربية د. فاطمة الجبوشي، 5- التقويم والقياس في التربية د. نعيم الرفاعي، 6- الصحة النفسية د. نعيم الرفاعي، 7- تقنيات التعلم د. قلا ود. صيام، 8- أصول التدريس [1] د. القلا ود. ناصر، 9- أصول التدريس [2] د. قلا ود. ناصر، 10- التربية العامة [2] د. أنطون رحمة، 11- المناهج التربوية د. سنقر، 12- علم نفس الطفولة والمراهقة د. مالك مخول، 13- علم النفس التربوي د. علي منصور.

واستبعدت الباحثة كتاب (الطرائق الخاصة في مادة الاختصاص) لخصوصية هذا الكتاب من جهة، حيث أنه يتعلق مباشرة بالاختصاص الجامعي للطلاب، ومن جهة أخرى بسبب التكرار في جميع هذه الكتب وخاصة ما يتعلق منه بالطرائق العامة والخاصة للتدريس.

ويستخدم البحث مصطلح معلم حيث أن كل من يعطي العلم يكون معلماً بغض النظر عن المرحلة التي يعلمها ومتعلم لأن كل من يتلقى العلم هو متعلم بغض النظر عن عمره ومستواه التعليمي.

النتائج المناقشة:

تعتمد جامعاتنا اليوم بدرجة كبيرة على تبني كتب جامعية، تقوم أساساً بالتركيز على المادة الدراسية، ويعتبره الكثير من مدرسي الجامعة وطلابها المصدر الرئيسي للمعارف والخبرات، ويمكن تعريفه على أنه مجموع (البيانات، والمعلومات، والمعارف والمهارات والاتجاهات والميول التي يزود بها المتعلم) وعلى الرغم من أن الكتاب الجامعي قد أصبح الآن في صورة لا بأس بها، ولكنه قد يُستخدم بطريقة غير ملائمة أحياناً، أو يطبق في ظروف سيئة لا تشجع المتعلم على استخدامه والاستفادة منه كما قد يحدث أن يتم اختيار المعارف والخبرات المتضمنة فيه بطريقة سطحية أحياناً أخرى.

ما هي معايير الكتاب الجامعي الجيد؟ إن معظم الجامعات العالمية لا تلجأ إلى تبني كتب جامعية، بل تعتمد بشكل أساسي على المراجع والدراسات والبحوث بالإضافة إلى بعض المطبوعات التي يعتمد عليها مدرس كل مادة من المواد، وتبعاً لغياب هذا الكتاب، فقد غابت أيضاً الدراسات حول الكتاب الجامعي.

وللوصول إلى معايير علمية لا بد من أن يتصف بها الكتاب الجامعي عادت الباحثة إلى إحدى عشرة دراسة وبحثاً حول المناهج والكتب المدرسية محاولة إسقاط المعايير الواردة فيها على المرحلة الجامعية مع مراعاة طبيعة هذه المرحلة وخصوصيتها.

واعتمدت المعايير التي تكررت ست مرات أو أكثر أي بنسبة 50% والجدول التالي توضح تكرار

هذه المعايير.

من حيث المضمون:

النسبة المئوية %	المسند الإجمالي للقرارات	أبراهيم 1991	شوران 1991	عليان 1989	خسوري 1988	سيفر 1985	عبد الوجد 1985	نيكولز 1981	O.C. D.F. 1979	نوسكر 1979	السديب 1977	أبو الفوح	
9	1											1	مفصلة
100	11	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	أحداث
100	11	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	بيانات وحقائق
100	11	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	مفاهيم ومبادئ
100	11	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1	ممارات
63.6	7		1		1	1		1	1	1		1	إبداع
54.5	6	1			1	1			1	1			توازن نظري مع التطبيق
54.5	6					1			1	1			صحة المعلومات
72.7	8	1	1	1	1	1			1	1		1	حدثة المعلومات
63.7	7	1	1	1	1				1	1	1		التقييم
63.7	7	1	1	1	1	1					1	1	التوثيق
9	1											1	مطابقة المحتوى للموان
27	3								1	1		1	أن يعطسي المحتسوي
27	3												مفردات المطابع
													سلامة اللغة

من حيث التنظيم:

النسبة المئوية %	العدد الإجمالي للكليات	أبراهيم 1991	شوان 1991	عليان 1989	خوري 1988	سيفر 1985	عبد الوجود 1985	بيك 1981	O.C.D.F. 1979	بولسكو 1979	الحبيب 1977	أبو الفتح	
63.6	7	1	1	1		1	1				1	1	التدريب
72.7	8	1	1			1	1		1	1	1	1	الاستمرار
63.6	7	1	1		1	1			1	1	1		الترابط في المعرفة
45	5			1		1			1	1		1	العمل الجماعي
63.6	7	1	1			1	1		1	1	1		التعلم الذاتي
9	1										1		التوازن بين فصول الكعب
54.5	6	1			1	1				1	1	1	المرونة

أما من حيث الشكل فقد أهملت جميع البحوث التي عادت إليها الباحثة هذا الجانب ماعدا دراستي (أبو الفتوح)(1962) والديب (1977)، لذا حاولت الباحثة تبني المعايير الواردة في الدراستين السابقتين مبدئياً ريثما تعرض على المحكمين. وبعد استخراج المعايير من هذه الدراسات عُرِضت على عينة مؤلفة من 35/ أستاذاً من أساتذة كلية التربية للتحكيم. وبعد معالجة المعلومات التي حصلت عليها الباحثة إحصائياً، اعتمدت نهائياً المعايير التي حازت على نسبة 50% من الأصوات على أنها هامة جداً. كما أخذت بعين الاعتبار الملاحظات والمقترحات الواردة عند صوغ المعايير بصورتها النهائية، مرفق طياً صورة عن الاستبانة التي وزعت على المحكمين.

المعايير الواجب توافرها من حيث المضمون:

1- مقدمة شاملة: توضح للمتعلم أهداف المقرر العامة، ومضمون الكتاب عامة بالإضافة إلى الطريقة المثلى لاستخدام الكتاب والاستفادة منه وعلى الرغم من أن هذا المعيار لم يحتو إلا على نسبة 9% من التكرار في الدراسات السابقة إلا أن نسبة 60% من المحكمين أعطوا درجة هام أو هام جداً.

1- الأهداف:

1-2: أن تصاغ الأهداف العامة للمقرر في بداية الكتاب.
2-2: أن تصاغ الأهداف الخاصة بكل فصل من الفصول.
2-3: أن يكون الهدف محدداً وواضحاً فإذا ما غمض الهدف فإننا سنختلف في تفسيره وفي اختيار الخبرة التي يمكن من خلالها تحقيقه (Mager 1977).
2-4: أن يكون الهدف قابلاً للملاحظة والقياس مثلاً: أن يطبق مبدأ جبرياً محدداً، أو يحلل نصاً، أو يقوم عملاً...).

2-5: أن تكون الأهداف شاملة تغطي جميع النتائج التعليمية المطلوب تحقيقها عند المتعلمين فلا تركز على جانب واحد كحفظ المعلومات وتذكرها بل لا بد من التركيز على جميع المستويات المعرفية (كالفهم - التطبيق - التحليل - التركيب - التقويم) (Bloom 1977).

3- المادة العلمية (المحتوى): وفي هذه المرحلة تتم ترجمة الأهداف إلى مادة تعليمية من شأنها تحقيق الأهداف التربوية، ويضم المحتوى العناصر التالية:

3-1: المعارف وهي تحتل المركز الأول بين عناصر المحتوى، فبدونها لا يمكن أن تتحقق الأهداف، غير أن المعارف التي جمعتها الإنسانية كثيرة وضخمة لا يستطيع معها الإنسان أن يستوعبها كاملة، ولكن على كل فرد أن يستوعب جزءاً منها. وعلى المحتوى أن يضم الأنواع المختلفة من المعارف والمقصود بها.
3-1-1: البيانات الخام والحقائق.

3-1-2: المفاهيم والمصطلحات الأساسية التي لا يمكن دونها فهم أي عنصر من عناصر المعرفة على أنها مفاهيم اللغة العلمية التي تساعدنا على فهم قوانين العلم والبرهنة على أفكارنا (بشارة، 1981).

3-1-3: التعميمات (المبادئ العامة والقوانين الرئيسية): التي تكشف عن العلاقة بين ظواهر العالم الموضوعي وأشيائه المختلفة.

3-1-4: جملة النظريات والأفكار التي تساعد الفرد على تكوين علاقات صحيحة مع العالم المحيط به.

3-2: المهارات العقلية والعملية التي تؤلف وسائل الفرد وأدواته [بشارة، 1981] تتحول هذه المعارف إلى مهارات وقدرات وتصبح خبرة مستوعبة نتيجة التطبيق والممارسة، والمهارات قد تكون عملية أو عقلية، ولكل مادة مهاراتها وقدراتها الخاصة، بالإضافة إلى مجموعات من المهارات المشتركة بين المواد كالقدرة

على استخراج النقاط الهامة، القدرة على التصنيف على التحليل، التلخيص، النقد، التصنيف، الفهرسة، وضع المخططات واستخدام المراجع... الخ.

إن الدور الأساسي في الجامعة هو تزويد المتعلمين بمهارات البحث والاستقصاء وبمعنى آخر تزويدهم بأدوات البحث الذاتي كالتحليل، التركيب، النقد، فرض الفروض، البرهنة عليه مما ينمي عندهم القدرة على الإبداع والابتكار والقدرة على البحث عن الحقائق عندما يجدون أنفسهم بحاجة إليها. ومثل هذه المهارات لا تتشكل من خلال الشروح النظرية وإنما من خلال ممارستها ومن خلال عمليات النشاط التي يقوم بها المتعلم.

3-3: النشاط الإبداعي: الذي ساعد في البحث على حل المشكلات الجديدة، ويمتلك محتوى خاصاً لا يتطابق مع محتوى العنصرين الأوليين، قوة الإبداع لا ترتبط بحجم المعرفة، فهناك من يعرف القليل ولكنه يعمل بإبداع يفوق ذلك الذي يمثل موسوعة معارف [إشارة، 1981].

وإذا ما تدرّب الفرد على استيعاب المعارف الجاهزة وبشكل مفصل، دون أن يتدرّب على أن يفكر بشكل مستقل، لن يستطيع إظهار مواهبه التي منحتها إياها الطبيعة، وهذا ما يتطلب اهتماماً خاصاً بالنشاط الإبداعي. 3-4: صحة المعلومات ودقتها العلمية.

3-5: حداثة المعلومات وأن تتناسب مع آخر التطورات العلمية في مجال المقرر الذي يوضع له الكتاب.

3-6: التفوق بين الجانب النظري والجانب العملي وفقاً لطبيعة المادة.

4- التقويم: أن يتضمن الكتاب مجموعة من الأسئلة والتمارين والتدريبات الخاصة بكل فصل من الفصول.

4-1: أن يكون التقويم متصلاً اتصالاً مباشراً بالهدف التي تم صياغتها، لكن عملية التقويم هي الحكم على مدى تحقق الأهداف المرجوة.

4-2: أن تغطي الأسئلة والتدريبات جميع بنود الفصل.

5- كتابة خلاصة لكل فصل من فصول الكتاب بالإضافة إلى خلاصة نهائية للكتاب. ط.

6- التوثيق: أي أن توثق المعلومات الواردة بدقة وأمانة وأن يحتوي الكتاب على الحواشي الضرورية.

7- أن يتضمن الكتاب ثباتاً للمصطلحات باللغة العربية وبإحدى اللغتين الفرنسية أو الإنكليزية.

8- أن يتضمن الكتاب قائمة بالمراجع والمصادر التي اعتمد عليها بالإضافة إلى قائمة بالمراجع والمصادر الإضافية التي يمكن الرجوع إليها من قبل المتعلم والتي من شأنها توجيه الطالب ومساعدته في فهم مفردات المقرر.

9- أن يكون محتوى الكتاب مطابقاً لعنوانه.

10- وظيفية المحتوى: أي أن يكون محتوى الكتاب بمعلوماته ومهاراته وخبراته ملبياً لحاجات المتعلمين ومراعياً لمستوياتهم، بحيث يستفيدون مما تعلموا عندما يمارسون مهنتهم المختلفة.

11- أن يغطي محتوى الكتاب مفردات المنهاج المقررة في الخطة الدراسية الخاصة بكل كلية من الكليات.

12- سلامة اللغة، وضوح العبارة، بساطة الأسلوب.

المعايير من حيث التنظيم:

1- الترتيب: بعد أن تتم عملية اختيار الموضوعات التي سيدرسها المتعلم في ضوء الأهداف المرسومة تأتي مرحلة ترتيب الموضوعات.

- ويكون ترتيب موضوعات الكتب المختلفة عادة على شكل سلسلة مترابطة بعضها مع بعض، كل حلقة أساس لما بعدها من الحلقات، وهي بدورها ترتكز على ما سبقها، وعادة ترتب مواد الكتاب مسلسلة من الأسهل إلى الأصعب ومن البسيط إلى المعقد، من الجزء إلى الكل، ومن القديم إلى الحديث [الديب، 1977].
- 2- الترابط والتكامل في المعرفة يعني وحدتها، ولقد أثبتت الدراسات أن التعلم يكون ذا هدف عندما يتعامل الشخص مع الموقف ككل بحيث يستطيع أن يرى (الوحدة) فيما يتعلمه [ديوي، 1965]، أي تنظيم خبرات الكتاب بصورة تتضح فيها العلاقات بين الموضوعات المختلفة التي يتكون منها الكتاب.
- 3- الاستمرار: والاستمرار يعني الاتصال، أي إعادة تعلم موضوع ما أو خبرة ما في أوقات متتابعة ولكن بصورة أكثر عمقاً وأكثر توسعاً، فإذا كان الهدف في مادة من المواد تنمية مهارة ما، فإن تحقيق هذا الهدف لا يتم من خلال تدريبهم على هذه المهارة مرة واحدة أو عدداً من المرات، وإنما يتطلب تحقيقه أن يكون هدفاً مستمراً نحاول تدريب المتعلمين عليه باستمرار، ومعيار الاستمرار يمكن أن يطبق على كل مجالات التعلم مثل اكتساب المعلومات، والمهارات وطرق التفكير، المهم هو أن يكون التدريب موجهاً دائماً نحو زيادة الخبرة وتعميقها.
- 4- أن يضمن التنظيم فرصة العمل الجماعي التعاوني، حيث يطلب منهم إنجاز مهام معينة بشكل جماعي.
- 5- أن يضمن التنظيم فرصة مشاركة المتعلمين في التعلم الذاتي وحل المشكلات المطروحة.
- 6- التوازن بين فصول الكتاب بحيث لا يطغى فصل على آخر وإنما حجم الفصول متقارباً من بعضها طبقاً لطبيعة كل فصل.
- 7- المرونة: أن يكون محتوى الكتاب قابلاً لاستيعاب المزيد من المعلومات إذا ما رأى المعلم ضرورة لذلك وأن يكون قابلاً للتغيير والتعديل بما يناسب آخر التطورات العلمية.

من حيث الشكل:

- 1- أن يكون ورق الكتاب من النوع الأبيض الجيد.
- 2- أن يكون حجم الحرف واضحاً ومقروءاً.
- 3- أن يكون طول السطر يتراوح بين 10.5-11.5 سم.
- 4- أن يكون عدد الأسطر متساوياً ويتراوح بين 23-25 سطراً.
- 5- اختلاف حجم الحرف بين العنوان الرئيس والعنوان الفرعي والنص.
- 6- استخدام الصور والرسوم البيانية.
- 7- استخدام الألوان للإثارة والتشويق وللتمييز والإيضاح.
- 8- تصميم الغلاف الجيد الجذاب.
- 9- طريقة تجليد الكتاب المتقنة.

دراسة تحليلية نقدية لكتب بعلوم التأهيل التربوي في ضوء المعايير التي توصل إليها البحث:

آ- من حيث المحتوى:

- 1- المقدمة: أهمل 15.4% من كتب الدبلوم المقدمة تماماً، بينما نجد أن 30.8% منها كانت المقدمة فيها قصيرة تقتصر على تعريف العلم الذي يتناوله الكتاب، و53.8% كانت مقدمته شاملة واضحة تعرف العلم المتناول وفصول الكتاب، وأهدافه، بالإضافة إلى الطريقة التي يتبعها الكتاب في سرد المعلومات والخبرات.

2- الأهداف: أهملت جميع الكتب صوغ الأهداف العامة للمقرر والأهداف الخاصة لكل فصل ما عدا ثلاثة كتب هي تقنيات التعليم وأصول التدريس(1) وأصول التدريس(2) أي بنسبة 23% فقط من كتب الدبلوم، وقد جاءت الأهداف في هذه الكتب الثلاثة دقيقة وواضحة وقابلة للملاحظة إلا أنها غير شاملة اقتصر على مستوى اكتساب المعارف وتطبيقها مهمل مستويات التفكير العليا التي أشرنا إليها في بداية البحث.

3- المادة العلمية: إن تحليل المادة العلمية في جميع كتب الدبلوم يحتاج إلى فريق متكامل من الباحثين المختصين في المواد المختلفة التي تدرس في دبلوم التأهيل التربوي كما أنه يحتاج إلى جهد ووقت كبيرين، ومن الممكن أن يكون موضوع بحث مستقل.

ولكن من خلال دراسة هذه الكتب تستطيع الباحثة التأكيد على أن جميع الكتب ركزت على المعارف الجزئية والبيانات، وكذلك على المفاهيم والمبادئ العامة أما المهارات فقد أهملت بشكل ملحوظ ويمكن استثناء كتب تقنيات التعليم، وأصول التدريس، والتقويم والقياس والتي ركزت على المهارات بدرجات مختلفة. أما الأنشطة التي تثير التفكير الإبداعي عند المتعلم يمكن القول: إنها مهملة تماماً من جميع الكتب إلا من بعض الإشارات العابرة غير المقصودة في كتب التربية العامة، وتقنيات التعليم.

4- صحة المعلومات: إن المعلومات الواردة والتي درسناها نستطيع أن نقول بأنها صحيحة بشكل إجمالي إلا أن كتب التربية المقارنة، والتربية في الوطن العربي ونتيجة لقدمها فقد فقدت المعلومات الواردة فيها صحتها ودقتها حيث غيرت الدول نظمها التربوية نتيجة التطور الاجتماعي والاقتصادي ولكن مازال طلاب دبلوم التأهيل التربوي يدرسون النظم القديمة التي كانت سائدة قبل عشر سنوات في العالم.

5- حداثة المعلومات: إذا استثنينا كتابي تقنيات التعليم وأصول التدريس اللذين طبعوا مؤخراً، فإن جميع كتب الدبلوم قديمة ومضت سنوات عديدة على تأليفها ومنها ما أعيد تصويره عشرة مرات ككتب الصحة النفسية منذ عام 1966 بالرغم من التطور الكبير الذي حصل في هذا الميدان. وكذلك كتاب علم النفس التربوي والأمر نفسه ينطبق على سائر الكتب التي مازالت متداولة من السبعينات دون تجديدات جذرية وحقيقية.

- التقويم: إن وضع أسئلة وتمارين في نهاية الفصل اقتصر على ثلاثة كتب هي: أصول التدريس(1)، أصول التدريس(2)، وتقنيات التعليم، أي بنسبة 23% من مجموع كتب الدبلوم. ولقد كان التقويم متصلاً اتصالاً مباشراً بالأهداف، كما أنه احتوى على أسئلة مفتوحة تثير التفكير والإبداع عند المتعلم غير أنها لم تشمل جميع بنود الفصل ونقاطه.

- التوثيق: إن جميع كتب الدبلوم وثقت المعلومات وأسندتها إلى أصحابها ولكن بدرجات متقاربة. حيث أن 53.8% من هذه الكتب وثقت توثيقاً شاملاً عادياً مع إهمال الكثير من النقاط التي لم توثق مقابل 46.2% كان توثيقها دقيقاً وعلمياً واتصف بالأمانة العلمية.

- مطابقة العنوان لمحتوى الكتاب: لقد جاءت الكتب بمجملها مطابقة لمحتواها للعناوين التي وضعت لها، ولا بد من الإشارة إلى أن هناك لجنة تدرس هذه الكتب قبل اعتمادها ومن هنا تستطيع القول إنها غطت أيضاً مفردات المنهاج المنصوص عنها في الخطة الدراسية للكلية.

- ثبت للمصطلحات: هناك فقط أربعة كتب وضعت ثبناً للمصطلحات في نهايتها وهي التربية العامة، التقويم والقياس، الصحة النفسية، وتقنيات التعليم وهذه المصطلحات وضعت باللغتين العربية والإنكليزية وتشكل هذه الكتب نسبة 30.7% من كتب الدبلوم.

- المراجع: جميع الكتب أي بنسبة 100% من الكتب ذكرت المراجع التي عادت إليها سواء أكان باللغة العربية أم بلغة أجنبية أخرى، ولكن أياً منها لم يُشر إلى مراجع تساعد المتعلم في حال عودته إليه على فهم مفردات المنهج.

- أما بالنسبة لوظيفية المحتوى فإن الأمر يختلف من مادة لأخرى وفقاً لطبيعتها والأهداف المرجوة منها، كما أن تحديدها يحتاج لبحث خاص يقوم على متابعة الخريجين في أماكن عملهم واستطلاع آرائهم حول أهم المواد المواضيع التي استفادوا منها في حياتهم المهنية.

ب- من حيث التنظيم:

1- الترتيب: اتبعت جميع الكتب الترتيب المنطقي، أي وفقاً لمنطق المادة وهو الترتيب الذي يتماشى مع طبيعة المرحلة العمرية للمرحلة الجامعية، كما أن هذا الترتيب يسمح باكتساب كمية كبيرة من المعلومات في وقت قصير ويخفف من الوقوع في الخطأ وفي تنمية عقل المتعلم وجعله منطقياً من خلال التعلم [عبد المقصود الديب، 1977].

2- الترابط: لقد أهملت الكتب موضوع الدراسة هذا العنصر تماماً، حيث أن كل فصل من فصول هذه الكتب مستقل عن الفصول الأخرى، ونرى بأن المؤلفين لم يبذلوا الكثير من الجهد لربط هذه المواضيع ببعضها إلا ما ندر وباختصار شديد جداً حيث توجد عبارات مثل، (كما رأينا سابقاً، كما أشرنا عليه في الفصل السابق وهكذا).

3- الاستمرار: من خلال دراسة الكتب وتحليلها تبين أنه يُعاب عليها جميعاً أنها لا تراعي مبدأ الاستمرار فيما يتعلمه المتعلمون، فما يتعلمه المتعلم في فترة ما، يعتبر شيئاً منتهياً وقائماً بذاته، أي أنه لا يتصل بما سيتعلمه هذا المتعلم مستقبلاً. وحيث أن ما يتعلمه الفرد لا يبقى طويلاً، طالما أنه لم يستخدم، فإن كثيراً مما يتعلمه المتعلم يتم نسيانه قبل توظيفه، وعندما تدعو الحاجة إلى الاستفادة من الخبرات السابقة يصبح من الضروري بذل المزيد من الوقت والجهد لإعادة تعلمها.

4- المرونة: أي القدرة على استيعاب المزيد من المعلومات تمشياً مع التطور العلمي والتقني، وفي هذا المجال تحد القوانين الناظمة من هذه المرونة حيث لا يعدل الكتاب أو يبذل قبل مرور أربع سنوات. وهذا أمر غير مقبول علمياً خاصة في الكليات العلمية والتطبيقية حيث التطور العلمي فيها لحظياً بالإضافة إلى القوانين الناظمة الأخرى التي تصر على التقيد بالكتاب وعدم الخروج عنه، وأعتقد أن إيجاد صيغ ناظمة جديدة من شأنها تحقيق معيار المرونة.

5- فرص العمل الجماعي التعاوني: باستثناء كتاب تقنيات التعليم فإنه لا يوجد أي كتاب آخر يسمح بمثل هذا النشاط بين المتعلمين لأن جميع الكتب تقوم على تلقين المتعلمين كمية من المعارف والحقائق العلمية.

6- فرص مشاركة المتعلمين في التعليم الذاتي وحل المشكلات المطروحة: هناك نمطان من المناهج التعليمية يركز الأول على المادة العلمية، بينما يركز الثاني على المتعلم وينظر مؤيدو المنهج الأول إلى المادة والمقرر من الزاوية المعرفية حيث يُحشى ذهن المتعلم بكمية من الحقائق والبيانات والمفاهيم والمبادئ سواء استطاع المتعلم اكتساب هذه الكمية، الهائلة من المعارف أم لم يستطع، بينما يركز الفريق الثاني على المتعلم ونشاطه وتشجيع المتعلم على كتابة البحوث والتقارير وإجراء التجارب للوصول إلى الحقائق عن طريق البحث والعمل.

وعندما يتعلم المتعلم بالطريقة الأولى، أي بتلقي المعارف الجاهزة فقد يقدم الإجابة الصحيحة على أسئلة الامتحانات، ولكن لن يتمكن من عقد مقارنات فيما درسه وكذلك لن يتمكن من كتابة تقارير توضح رأيه فيما تعلمه أو تقديم مادة مشابهة [Schlesinger, 1981].

إن أسلوب التلقين وتقديم المعلومات الجاهزة هو الأسلوب السائد في كتب دبلوم التأهيل التربوي، وهو الأسلوب الأسهل لتزويد المتعلم بالمعارف، ولكن هذا الأسلوب عاجز عن تحقيق الأهداف الأكثر طموحاً كتنمية مهارات المتعلم وخاصة مهارات التعلم الذاتي.

7- التوازن بين الفصول: لقد حققت جميع الكتب هذا المعيار فلا يوجد فصل يطغى على الفصول الأخرى وإنما كان عدد الصفحات المقررة لكل فصل متقارباً إلى حد كبير.

ج- من المعروف أن الكتاب الجامعي في القطر يمكن اعتباره مجانياً، لأنه يباع بأسعار زهيدة للمتعلمين قد لا تغطي نفقاته، لذا جاءت طباعته وإخراجه وتجليده على درجة متواضعة ولما كان الهدف من ذلك هو جعل الكتاب في متناول جميع المتعلمين وهو هدف نبيل فإن غض النظر عن الأمور الفنية أمر مقبول جداً.

ولكن يمكن القول إن الكتاب الجامعي بشكله وصل إلى صورة لا بأس بها فهو يستخدم الورق الأبيض الجيد، وجميع الكتب من القطع القياسي 24×17سم وروعي فيها اختلاف حجم الحرف بين العنوان الأصلي والعنوان الفرعي والنص بحيث يستطيع القارئ معرفة تدرج أهمية هذه العناوين وقد استخدمت كل من كتب التربية المقارنة، أصول التدريس (1)، أصول التدريس (2)، تقنيات التعليم، المناهج التربوية الصور والرسوم البيانية وذلك تبعاً لطبيعة المادة.

أما الألوان فلم تستخدم لنفس العامل الاقتصادي المشار إليه سابقاً.

الكتاب الجامعي ما له وما عليه:

إذا كان هناك موقعان فكريان من الكتاب الجامعي أحدهما مؤيد والآخر معارض، فما ذلك إلا نوع من تأكيد الفريق الأول على محاسنه وأهميته، بينما يرى الفريق المعارض أن سيئاته ومضاره أكثر من حسناته.

ويتمسك الفريق الأول بالكتاب الجامعي للاعتبارات التالية:

- يقدم معلومات وأفكاراً تشمل المهاج المقرر.
- يساعد في الانتقال من موضوع إلى آخر، ومن فكرة إلى أخرى، كما يساعد على الحفظ والاستيعاب [أبو الفتوح، 1962].
- يساعد المعلم ويريحه من عدم بذل الجهد الكبير للوقوف على المعلومات التي يقدّمها فهو يوفر عليه عناء البحث والدراسة.
- يساعد في عملية الحفظ والاستنكار التي تعتبر مهمة في ضوء المنهج القائم وطريقة تعامله مع المعرفة.
- يتمشى مع نظم الامتحانات السائدة فهو يساعد المتعلم في الإجابة عن الأسئلة التي توجه إليه.
- غير مكلف اقتصادياً مقارنة بالأساليب الأخرى التي تعتمد على المراجع والمصادر ومتابعة الأبحاث الجديدة في كل ميدان من الميادين.
- سهولة إعداد الكتاب وتطويره وتعديله.

أما الفريق المعارض فهو يرى فيه نقاط الضعف التالية:

- إن الكثير من المعلمين، ينظرون إليه على أنه نهاية التعلم، وأن المادة المحصورة فيه هي الهدف الأسمى الذي يحاولون الوصول إليه.
- غالباً ما يعتمد المعلم على الكتاب فقط، دون إغناء المتعلمين بمعارف من مصادر أخرى.

- يؤكد الكتاب الجامعي على اكتساب المعرفة فقط دون التأكيد على الخبرات والمهارات وذلك ليسهل قياسه في عملية الامتحان.
 - يركز الكتاب الجامعي على أن يعرف المتعلم عن الأشياء أكثر من اهتمامه بمعرفة الأشياء نفسها وممارستها. بالرغم من العناء والجهد المبذولين في إعداد الكتاب الجامعي إلا أنه محدود من وجهة النظر التي يقدمها ومحدود في محتواه، فهو لا يقد للمتعم الكثير من وجهات النظر في المشكلة الواحدة فلا يوسع آفاقه ولا يساعده في تنمية قدراته على معالجة المشكلات.
 - إن الكتاب الجامعي لا يقدم للمتعم مشكلات تثير فيه التفكير أو تحثه على البحث والدراسة والاطلاع، فهو يحصره في دائرة محدودة من المعارف والأفكار والمعلومات وبعض المهارات.
 - قد يؤدي الكتاب إلى داء اللفظية، حيث يحفظ المتعم ما يحفظه ليقدمه في الامتحان دون إتقان وتفكير ثم ينساه.
- إن المشكلة الأساسية، لا تكمن في تأليف الكتاب الجامعي، فقد وصل إلى صورة لا بأس بها، ولكن تكمن في طريقة اختيار المعارف والخبرات والمهارات التي تحتويها، وفي طريقة تعديله وتطويره باستمرار بما يتناسب مع آخر التطورات العلمية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالكتاب الجامعي مهم وضروري، ولكن على أنه موجه ومرشد ومحدد للمستوى المطلوب من التعلم الذي يكتسبه المتعم، وليس على أنه كتاب لا مرجع عنه ولا محيد، وأن ما فيه من معلومات هي الغاية القصوى من عملية التعلم.

المقترحات:

- لقد جاءت فكرة الكتاب الجامعي لحل بعض القضايا والمشكلات أهمها:
- 1- القضاء على جشع بعض أساتذة الجامعة الذين وجدوا التأليف وسيلة للأرباح.
 - 2- توفير التعليم المجاني لأكبر شريحة اجتماعية تماثياً مع ديمقراطية التعليم.
 - 3- القضاء على مشكلة فقدان الكتاب الجامعي أو ندرته أو تأخر طبعه.
- إلا أن هذه الدوافع النبيلة أصبحت عائقاً في طريق التقدم العلمي لذا يقترح ألا يستغرق سريان الكتاب أكثر من سنتين وبعد ذلك يتم تشكيل لجنة علمية لإنجاز كتاب جديد يهدف إلى:
- أ- تلافي النقص في الكتاب المعمول فيه وذلك بعد دراسته واستشارة عدد من أساتذة الجامعات المحلية والعالمية.
- ب- مواكبة التطور العلمي في المادة التي يعد لها الكتاب كما أن الأخذ بالمعايير التي توصل إليها البحث بعين الاعتبار عن تأليف الكتاب الجامعي من شأنه أن يرفع من سوية هذا الكتاب، آخذين بعين الاعتبار أن تلقين المعلومات الجاهزة، تعطل التفكير عند المتعلمين وتجعل منهم مكتبات حية متحركة مما يتعارض مع أهداف الجامعة وغاياتها.
- فإذا أردنا لجامعاتنا أن تكون منارة في البحث والاكتشاف فلا بد من تزويد المتعلمين بأدوات البحث الخاصة لكل مادة من المواد كالملاحظة وفرض الفروض والتجربة والبرهنة على الفرضيات، أو البحث في المراجع والقواميس أكثر من التركيز على تلقين المعلومات ولا يغيب عن الأذهان ما للاعتماد على كتاب جامعي جاهز من أثر سلبي على المعلم نفسه لأنه يؤدي إلى كسل علمي عنده وعدم اللجوء إلى المكتبات للبحث والتقصي، وإذا كان العلم يتطور بصورة هائلة كل يوم، فكيف ندرّس المتعلمين كتباً مؤلفة منذ سنوات عديدة؟.

REFERENCES

المراجع

- [1]- أبو الفتوح رضوان، 1962 - الكتاب المدرسي، الانجلو المصرية - القاهرة.
- [2]- إبراهيم محمود أبو زيد، 1991 - المنهج الدراسي بين التبعية والتطور، الطبعة الأولى، مركز الكتاب للنشر، مصر.
- [3]- الديب فتحي عبد المقصود، 1977 - المنهج المدرسي أسسه وتطبيقاته التربوية، الطبعة الرابعة، دار القلم - الكويت.
- [4]- الشيخلي عبد القادر، 1983 - تطوير المستوى العلمي للطالب الجامعي، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان.
- [5]- بشارة جبرائيل، 1981 - المناهج، الطبعة الأولى، مؤسسة الوحدة - دمشق.
- [6]- خوري توما جورج، 1988 - المناهج التربوية، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت.
- [7]- ربيع محمد محمود، 1985 - تطوير التعليم في حقل العلوم السياسية كأداة للتنمية في مجلة العلوم الاجتماعية - المجلد 3 - العدد 2، ص.ص 11-43.
- [8]- سرحان النمرdash، 1972 - المناهج، الطبعة الثالثة، دار العلوم للطباعة - القاهرة.
- [9]- سنقر صالحه، 1993 - المناهج التربوية، الطبعة الرابعة - جامعة دمشق - دمشق.
- [10]- عبد الموجود محمد عزت - وآخرون، 1981 - أساسيات المهج وتنظيماته، الطبعة الأولى، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة.
- [11]- عليان هشام وآخرون، 1989 - تخطيط المنهج وتطويره، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان.
- [12]- قورة حسين سليمان، 1982 - الأصول التربوية في بناء المناهج، الطبعة السابعة، دار المعارف - القاهرة.
- [13]- نيكولز أو دري وهوارد، ترجمة سليمان سعيد جميل، 1981 - تطوير المنهج، الطبعة الأولى، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة.
- [14]- نشوان يعقوب حسين، 1991 - المنهج التربوي من منظور إسلامي، الطبعة الأولى، دار الفرقان - عمان.
- [15]- BLOOM. S, 1977 - of Educational objectives, Hand book, 1, New York.
- [16]- BRUNER. J, 1951 - process of Education, Cambridge.
- [17]- D'HAINAUT. L, 1983 - Des fins aux ofjctifs, 1er ed, Fernand Nathan, France.
- [18]- MAGER R.F., 1977 - comment définir des objectifs pedagogiges, 2em ed, Bordas, France.
- [19]- O.C.D.E., 1966 - La réforme des programmes scolaires et le developpement de l'éducation, 1er ed. O.C.D.E. France.
- [20]- O.C.D.E., 1976 - L'évaluation des programmes d'enseignement, 1er ed. O.C.D.E. France.
- [21]- O.C.D.E., 1976 - L'évaluation des programmes à partir de l'école, 1er ed. O.C.D.E. France.
- [22]- UNESCO. 1979 - Programmes d'études et éducation premanente, UNESCO, France.
- [23]- UNESCO. 1978 - Elaboration et réforme des programmes scolaires, 1er ed, UNESCO, France.